اللغة العربية

في المنظور الاستشراقي والاستعماري

إعداد الباحثة

ساميــة جبــارة

تخصص التراث الإسلامي والاستشراق

جامعة باتنة، الجزائر

اللغة العربية في المنظور الاستشراقي والاستعماري

سامية جبارة

التخصص: التراث الإسلامي والاستشراق

جامعة باتنة، الجزائر

ملخص البحث:

تعتبر اللغة العربية من اللغات السامية والتي تفوق اللغات الأخرى من حيث الصفات والخصائص والمميزات؛ هذه الأخيرة التي أعطتها الريادة وضمنت لها البقاء، فأنتشرت وعُرفت في جميع أقطار العالم عن طريق الفتوحات الإسلامية وخلفت بذلك اللغات الأخرى؛ كالسريانية واليونانية والبربرية.

واستمر نفوذ اللغة العربية إلى قرون متتالية فظلّت أداة الثقافة والفكر والوعاء الذي يحمل التراث العربي الإسلامي، الأمر الذي لفت انتباه الغرب فأدرك الأوروبيون أنها الأداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب، ومن ثمّ وجد الغرب الأوروبي نفسه – وبخاصة المستشرقون– مضطرا للتعرف على اللغة العربية وكشف سرِّ قوتها وانتشارها لأنها أحد أهم أسباب تقدم وازدهار المسلمين، وكان للحركة الاستشراقية التي صحبتها الحقبة الاستعمارية دور كبير في الاهتمام باللغة العربية بحكم أنهما وجهان لعملة واحدة، فكان الهدف هو القضاء على اللغة العربية وإضعاف دورها وذلك بعد أن حاول الاستشراق فهم حضارات الشرق، وإدراك مكانة هذه اللغة عند العرب والمسلمين، خاصة بعد أن عرفوا أنها ليست لغة علم فحسب؛ بل اللغة التي نزل بها دستور المسلمين وهو القرآن، فازدادوا رغبة في دراستها وتعلمها وإتقانها.

على ضوء هذا جاءت الدراسة لتبيِّن مكانة اللغة العربية عند المستشرقين، وكيف تعامل الاستشراق في بداياته – الاستشراق الاستعماري– معها كلغة إنتماء ومقوم من المقومات

الأساسية للشعوب المستعمَرة هذا من جهة، ومن جهة ثانية إبراز مواقف بعض المستشرقين المعاصرين منها ومعرفة جهود هؤلاء وأعمالهم حول اللغة العربية إنصافا وإعجابا أو حقدا وطعنا في اللغة العربية.

Arabic language in the oriental and colonial perspective.

Abstract:
Arabic is a lofty language that outweighs other languages in terms of attributes. characteristics and features; The latter، which gave her leadership and ensured her survival، was spread and known throughout the world through Islamic conquests and succeeded other people's languages and accents such as Syrianism، Greece and barbarism.
The influence of the Arabic language lasted for centuries in succession and remained the instrument of culture، thought and pot bearing the Arab-Islamic heritage، which drew the attention of the West. Europeans realized that it was the only instrument for the transmission of science and literature، and thus the European West found itself - Especially orientators - have to learn about Arabic and reveal the secret of its power and spread because it is one of the most important reasons for the progress and prosperity of Muslims and the Oriental Movement، accompanied by the colonial era، it played a major role in the interest in Arabic because they were two sides of the same coin. The aim was to eliminate Arabic and weaken its role after Orientalism tried to understand the civilizations of the East and recognize the place of this language in Arabs and Muslims، especially after realizing that it is not only a language of science; Rather، the language in which the Constitution of Muslims، the Quran، was instilled، increased the desire to study، learn and master it.
In this light، the study showed the place of Arabic language in Orientalists، and how Orientalism in its inception - colonial Orientalism - dealt with it as a language that belongs to and is one of the fundamental components of this colonial peoples، on the one hand، and on the other hand highlight the attitudes of some modern Orientalists - depending on their attitudes - and know their efforts and actions about Arabic language fairly، admiration or truly، and obedience in Arabic language.
Keywords : Language ;Arabic ;Identity ;Orientalists ;Colonial orientalism.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد

من المعلوم أنّ الدين واللّغة هي أهم العوامل التي تحدد هوية الأمة العربية الإسلامية، بالإضافة إلى الثقافة والعيش المشترك، فاللغة العربية هي أكثر مقوّم مهم في تحديد الانتماء وهوية الشعوب، ومن ذلك التركيز على أهميتها لإبراز مكانتها في حياة النّاس، ولتعزيز هذا الانتماء لدى فئة الشباب المسلم، ليكون حامل لوائها وأمل ازدهار الأمة وتطورها؛ فكان من الأهمية بمكان تناول هذا المقوم الأساسي الذي يُعدُّ وعاء الثقافة الإسلامية والعربية، وحامل تراثها ومحقق مجدها ورقيها.

من هنا جاء هذا البحث لأجل بيان علاقة اللغة الأم بالانتماء الوطني من خلال الإحاطة بأهميتها ومكانتها عند غير الناطقين بها، ومن ثمّ الكشف عن مدى تأثيرها في الآخر، وتأثر الآخر بها، وموقفه منها وكيفية تعامله معها في دراساته وأبحاثه، ويتمثل ذلك في الحركة الفكرية التي أنشأها الغرب، وأسس لها ثوابت وقواعد تسير عليها لأجل تحقيق أهداف مسطرة عن طريق ما يسمى بالاستشراق.

وإنّ أهمية اللغة الأم شكلت خطرا وتهديدا للاستعمار، الذي اعتُبر امتدادا للخطط الغربية لأجل القضاء عليها معتمدا في ذلك على الاستشراق الذي تجمعهما وحدة الهدف حتى لو اختلفت طرقهم ووسائلهم.

والاستشراق كحركة أو ظاهرة –إن صح القول– علمية وفكرية صبَّت كل اهتمامها على دراسة الشرق وما احتواه من علوم وآداب وفنون ولغات وعقائد ومعتقدات وعادات وتقاليد، وحفرت بكل الوسائل والأساليب –قديما وحديثا– في أعماق وجذور البلدان العربية والإسلامية

لتكشف أسرارها وأغوارها ولم تترك مجالا لم تدخله، ولا علما ولا لونا من ألوان الثقافة والفكر لم تبحث فيه.

وكانت اللغة العربية أحد أهم المحاور والمجالات التي اعتنى بها الاستشراق أيما عناية، وكان له معها بدايات ودوافع وأهداف، كل هذا سنحاول معرفته من خلال هذه الورقة البحثية، والتي من خلالها سنعالج إشكالية اللغة العربية عند المستشرقين، وما الهدف الذي يصبو إليه الاستشراق بمعية الاستعمار لهدم مقومات الأمة الإسلامية ومحاولة إضعاف اللغة العربية؟

أولا: ماهية الاستشراق (دوافعه أهدافه)

أ-تعريف الاستشراق

يعرِّف حمدي زقزوق الاستشراق بأنّه "الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام"(١).

إنَّ حصر الاستشراق في الشرق الإسلامي يدعو إلى نوع من التساؤل حول أي شرق هذا إذا كان الإسلام قد انتشر في كل العالم، من الصين شرقا إلى الأندلس غربا؟ ومن هنا اختلفت التعريفات بين المفكرين، لينسحب المفهوم من ظاهره الجغرافي والمكاني إلى مفهوم جديد مستجيبا للظروف المختلفة وخاضعا لمتغيرات العصر وموائما لمستجداته، ليبرز الاستشراق في ثوبه الجديد مختلفا عن الاستشراق القديم أو الكلاسيكي الذي كان في بداياته نخبويا، انطلق من الأديرة والكنائس، ومحصورا في كبار المفكرين ممن أتقنوا اللغة العربية وتفننوا في دراساتهم الشرقية، بينما الاستشراق الجديد هو الذي أخذ بعدا سياسيا وإيديولوجيا أكثر منه دينيا، متحررا من كل قيد لاهوتي.

(١) – محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، (القاهرة: دار المنار، ط٢، ١٩٩٨م)، ص٢٤.

فالاستشراق الجديد؛ "هو مجمل الإنتاج العلمي الغربي الذي يعتمد مناهج وطرائق العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة في دراسة شؤون الإسلام والمسلمين"[١].

بينما نجد تعريف الاستشراق عند المستشرقين أنفسهم مختلف تماما؛ فيرى مكسيم رودنسون Maxim RODINSON (١٩١٥-٢٠٠٤م) أنّ الاستشراق ظهر للحاجة إلى إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق، وأنّ الحاجة كانت ماسة لوجود متخصصين للقيام على إنشاء المجلّات والجمعيات والأقسام العلمية[٢]، وتختلف نظرة هذا المستشرق إذ يضفي لتعريف الاستشراق الدلالة اللغوية المعرفية وبالتالي أصبح الشرق هو المطلب العلمي والمعرفي الذي انجذب إليه الغربيون.

ب-دوافع الاستشراق وأهدافه

لا تختلف الدوافع عن الأهداف كثيرا، بل تتقاطع في كثير من الأمور لذلك ارتأينا أن نجمعها ونجملها في الآتي:

١- **الدوافع والأهداف الدينية**: إنّ الحملات التي نشطت في نهاية القرن السابع عشر من طرف الكنيسة في آسيا وإفريقيا والمناطق العربية[٣]، لهي تعبير كامل عن الحقد الدفين الذي يحمله الغرب للإسلام والمسلمين منذ الحروب الصليبية، والذي خلّف صراعا تاريخيا بين

(١) - عبد الله بن عبد الرحمن الوهيبي، حول الاستشراق الجديد مقدمات أولية، (الرياض: مجلة البيان، ط١، ١٤٣٥هـ)،ص٨٧.

(٢) - مكسيم رودنسون، الصورة العربية والدراسات الغربية الإسلامية في تراث الإسلام (القسم الأول)، تصنيف شاخث وبوزورث، ترجمة، محمد زهير السمهوري، (الكويت: عالم المعرفة، د ط، ١٩٧٨م)، ص ص ٢٧-١٠٠.

(٣) - سعدون الساموك، الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، (المملكة الأردنية الهاشمية: دار المناهج للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م)، ص٨/ ٢.

المسيحية والإسلام بقيت آثاره إلى اليوم. والاستشراق انطلق في بادئ الأمر من الأديرة والكنائس، وكان همُّ رجال الدين الانتصار للمسيحية عبر عمليتي التبشير والتنصير، ومحاولة إخراج المسلمين عن دينهم بعدة طرق أهمها "نبذ اللغة العربية وتبديل طريقة كتابتها".[١]

٢- **الدوافع والأهداف الاستعمارية**: ارتبط الاستعمار بالاستشراق معا لأجل الحفاظ على المستعمرات والسيطرة عليها، لذلك يعتبر إدوارد سعيد أنّ "الاستشراق كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبيانه وامتلاك السيادة عليه"[٢]، فاستخدم الغرب الاستشراق كوسيلة وأسلوب للوصول إلى مبتغاه وهو الاستعمار والسيطرة على دول الشرق عموما.

٣- **الدوافع والأهداف الاقتصادية**: التطلع إلى الشرق وعلومه وآدابه وفنونه وعاداته وتقاليده جزء من المخطط الاستشراقي بغية التعرف أكثر على مناطق القوة والغنى للدول العربية الإسلامية والكشف عن أماكن تواجد ثرواتها، والتي كانت محط أنظار وأطماع الغرب، فكان الاستشراق هو الوسيلة للوصول إليها عبر متخصصين في المجالات الاقتصادية والتجارية منها.

٤- **الدوافع والأهداف السياسية**: وهي أهداف مرتبطة بالاستعمار وبشكل مباشر، والسيطرة على مراكز القرار، ثم يأتي بعدها الدافع الذي يخدم الصهيونية كعامل ثاني، والوضع الذي آل إليه

---

(١) – حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، وخوافيها، التبشير، الاستشراق، الاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه،(دمشق: دار القلم، ط٨، ٢٠٠٠م)، ص١٢٩.

(٢) – إدوارد سعيد، الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ط٢، ١٩٩٥م)، ص٧٣.

العالم اليوم يفسر أنّ لليهود اليد الطولى فيه، وكل ذلك لتعزيز المشروع الصهيوني من جهة، ودفاع الدول العظمى عن مصالحها، " وإن أولّ جماعة أُسِّست لخدمة الاستشراق والانتفاع بجهد رجاله سياسيا قامت في فرنسا في سنة ١٧٨٧م، تحت إشراف وزارة المستعمرات، ولم يكن حرص ملوك فرنسا بأقل من حرص أحبار الكنيسة على إيفاد بعثات إلى الأمصار العربية لجلب ذخائر تراثها، وكان سفراؤهم يندبون رسميا لهذا العمل السياسي"[١].

٥- **الدوافع والأهداف العلمية**: يقول مصطفى السباعي: " إنّ هذه الفئة المدفوعة بدافع العلم ولو كانت فئة قليلة إلا أنّها اتخذت المنهج العلمي السليم في أبحاثها وكانت بعيدة عن التحريف والدس"[٢]، فالانبهار الغربي بالشرق وما وصل إليه من ازدهار دفع المستشرقين إلى دراسته بكل ما فيه مع اختلاف نواياهم، فلا يمكن التسليم والجزم دائما بالأمانة العلمية، فمتى انحرف البحث العلمي عن غاياته كان ذلك إما لمصلحة دينية أو سياسية، وقلما نجد النزاهة في تلك الدراسات والأبحاث، وإن وُجدت فأغلبها يعتريها النقص أو الانحراف لسبب أساسي هو الجهل بأصول اللغة العربية والجهل بمعانيها وقواعدها بشكل عام.

ثانيا: الاستشراق والاستعمار وجهان لعملة واحدة

من البديهي أنّ الاستعمار لم يأتِ صدفة، وإنما جاء بعد تخطيط ودراسة عميقين للبلدان المستعمَرة ومن جميع الجوانب؛ الدينية والسياسية و الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية، فبعد الفشل الذي لحق الغربيين على إثر الحروب الصليبية، لجأوا إلى خطط أخرى "لغزو المسلمين بوسائل أخرى غير وسيلة الحرب المسلحة بالأسلحة المادية، واقتضت خطة الغزو

(١) – عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي ومنهجه وتطوره، (القاهرة: دار المعارف، د ط، د ت)، ص١٧٩.

(٢) – مصطفى السباعي، المستشرقون مالهم وما عليهم،(عمان: دار الوراق، ط٤، ١٩٨٨م)، ص٢٥.

الجديد التوسع في الدراسات الاستشراقية لتكون تمهيدا لهذا الغزو، وإعدادا لشروطه الفكرية والنفسية"[١]، وبعد أن نبتت نابتة الفكر الاستعماري في أوروبا، احتاج الطامعون باستعمار بلاد المسلمين إلى زادٍ من الدراسات الشرقية، فوَّجهت الدوائر الاستعمارية أعدادا من المتعلمين في بلادها للتفرغ للدراسات الشرقية، من جوانب متعددة؛ لغوية، ودينية، وكان أكثرهم من رجالات الكنيسة الذين يحملون بداخلهم الأهداف التبشيرية من قبل، ومن هنا التقت الجبهات وأصبح للاستشراق والتبشير والاستعمار أهدافا مشتركة.

مضى الاستشراق والغزو الاستعماري فترة طويلة في طريق واحد، فأخذ المستشرقون يقلبون البحث في الآداب العربية ولغتها وتاريخها، وساعدوا على تحقيق عدد من المخطوطات التي نقلوها أو استنسخوها على ذمة نشرها محققة، وقامت من أجل ذلك صناعة نشر التراث العربي الإسلامي في عدد من العواصم والمدن الكبرى في أوروبا[٢].

إن التبشير والاستشراق كليهما دعامة الاستعمار، وكلاهما يدعوان إلى توهين القيم الإسلامية الحاضرة، والغض من اللغة العربية الفصحى، وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب العربية الإسلامية.. [٣]

ثالثا: السياسة الاستعمارية لهدم المقومات الوطنية في البلدان الإسلامية

لا يسعنا المقام للعودة إلى التاريخ الاستعماري بالتفصيل لا سيما الفرنسي في الجزائر، ولكننا سنركز على ما يرتبط بالموضوع وما يخدمه أكثر، فالاستشراق ارتبط بالأعمال الفرنسية

(١) – حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ص١٢٣.

(٢) – عبد المجيد ذياب، المرجع السابق، ص ١٨٠-١٨١.

(٣) – محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، (بيروت: دار الفكر، ط٦، ١٩٧٣م)، ص٥١٩.

بدعم الجهود الاستعمارية، واتبعت فرنسا نفس الأسلوب الذي انتهجته في حملتها على مصر(١٧٩٨م)، "بأن تضمنت -في حملتها على الجزائر- عددا من المترجمين والكتاب والفنانين المهتمين بحياة الشرق كما مثَّل مؤتمر المستشرقين الرابع عشر بالجزائر عام ١٩٠٥م الانطلاقة الحقيقة للاستشراق بالجزائر"[١]

قام المستشرقون بأعمال كثيرة في مختلف المجالات، ومنها ترجمة النصوص الدينية ودراسة العربية والبربرية بمختلف لهجاتها، وتاريخ الجزائر والمغرب العربي عموما، كل ذلك لأجل التمهيد لاحتلالها، وكانت الجزائر أول أقطار العالم العربي وقوعا تحت براثن الاستعمار والاحتلال الفرنسي، هذا الأخير الذي استهدف طمس هويته ودمجها ولم يترك وسيلة إلا واتبعها في سبيل تحقيق أغراضه، وإن تعددت الوسائل فإن الهدف الذي يجمعها واحد، ألا وهو هدم العقيدة وإفساد الأخلاق وإحداث قطيعة بين الهوية والتراث والثقافة وذلك بمحاربة اللغة العربية وإضعاف دورها وفضلها على حضارة الشعوب والأمم.

وبالتالي كان تركيز فرنسا الاستعمارية على مجال التعليم والجانب الثقافي بهدف القضاء على الهوية الجزائرية وطمس معالم شخصية الشعب الجزائري، ولتحقيق ذلك اعتمدت سياسة خاصة هذه بعض ما تعلق منها في جانب التعليم واللغة العربية:

- القضاء على جميع مراكز التعليم والثقافة العربية (المدارس الرسمية، الزوايا، الكتاتيب).
- تم حرق المؤلفات والمخطوطات والوثائق المكتوبة باللغة الأم على يد السفاح "ديبورمون" L.Auguste De Bourmont (١٧٧٣-١٨٤٦م).

(١) - يوسف جغلولي، الاستشراق في الجزائر بين الأطروحات والوسائل، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، جامعة الجلفة، الجزائر، المجلد ٢، العدد ٦، ٢٠١٧.

- فرْنسة المحيط بكتابة أسماء الأحياء والشوارع وتسمية المدن والقرى بأسماء فرنسية بدل أسمائها العربية.
- فتح مدارس فرنسية مختلطة وتعميم تدريس اللغة الفرنسية في جميع الأطوار.
- محاربة اللغة العربية باعتبارها مقوم أساسي من مقومات الشخصية العربية الإسلامية، وإحلال اللغة الفرنسية محلها في جميع المعاملات، ولتكون لغة التعليم والثقافة والتعامل بين النّاس.
- الدعوة إلى العامية الدارجة واللهجات المختلفة، وتحريض بعض القبائل للمناداة بتعميم اللهجة وتحريضهم بالمطالبة بأن تكون لغة رسمية في البلاد، ومثالها اللهجة الأمازيغية عند بلاد القبائل الكبرى في الجزائر.

هذه بعض الجوانب من السياسة الاستعمارية لفرنسا والمتعلقة بالتعليم واللغة العربية، التي عمل الاحتلال على تدميرها وبالمقابل شجّع على انتشار اللغة العامية(اللهجة المحلية)، ولكنّ الله تعالى قيَّض لهذه الأمة ولشعبها من يدافع عن دينها ومقوماتها والعمل على الحفاظ على هويتها وانتمائها، فبرزت جمعية العلماء المسلمين (١٩٣٠م)، التي أسّسها رجال شرفاء غيورين على دينهم وأوطانهم وقوميتهم ووطنيتهم، تحمل شعار" **الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا**"، هذه ثلاثة أبعاد جنَّد لها ابن باديس وقته وجهده لتكريسها واقعا، وصاغ على أساسها مشروعه النهضوي، وتأتي مرتبة اللغة بعد الدين مباشرة وقبل الوطن، لأنّها هي من تحافظ على تماسك الوطن، وتغرس الشعور بالانتماء في نفوس الأفراد.

سعت الجمعية بكل ما أوتيت من وسائل وأساليب لمقاومة هذه السياسة الجارفة والظالمة، فاعتمدت نظاما حديثا لإصلاح التعليم، واعتماد برنامج يقوم على المحافظة على الهوية الوطنية للشعب ولأبناء الوطن، يشتمل على القرآن الكريم، ثم على القراءة والكتابة وكل

ما له علاقة بأدوات اللغة العربية [1]. وكان هؤلاء الرجال ممن أسَّسوا الجمعية – وعلى رأسهم مؤسسها الأول الشيخ عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩-١٩٤٠م)- يحملون غيرة دينية ووطنية جعلت منهم حماة للدين والوطن ولمقومات الانتماء إليه، وأولها اللغة العربية، فقال قولته المشهورة: "إنّي لأرضى أن تدخل رصاصة في صدري بدلا من أن تدخل اللغة الفرنسية إلى المدارس العربية"، فقد كرس حياته جاهدا ومجاهدا في سبيل أن تبقى اللغة الأم في مكانها الشرعي في الجزائر فكان يحثُّ طلبته بالتحدث بها والتحاور ويقوم بتدريبهم على الخطابة بها حتى تألفها ألسنتهم ويتعودون عليها فكان يقول: "...تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق واحد، وتكاد لا تكون أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد، فليس الذي يُكوِّن الأمة ويربط أجزاءها، ويوحّد شعورها، ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة، وإنّما الذي يفعل ذلك تكلُّمها بلسان واحد ولو وضعت أخوين شقيقين يتكلم كل واحد منهما بلسان، وشاهدت ما بينهما من اختلاف نظر وتباين قصد، وتباعد تفكير، ثم وضعت شاميا وجزائريا-مثلا- ينطقان باللسان العربي، ورأيت ما بينهما من اتحاد وتقارب في ذلك كله، لو فعلت هذا لأدركت بالمشاهدة الفرق العظيم بين الدم واللغة في توحيد الأمم"، وهذا هو البعد الديني والروحي للغة العربية .

رابعا : اللغة العربية من المنظور الاستشراقي المعاصر.

ارتبط الاستشراق باللغة العربية ارتباطا شديدا، لأنّه يعلم أنّ السر وراء معرفة كنوز الشرق من تراث وثقافة وعلوم، يكون عبر بوابة اللغة العربية، لذلك ركَّز المستشرقون منذ عهدهم الأول بالجانب اللغوي في دراساتهم للعالم الشرقي، وكان ذلك لأسباب دينية.

(١) – أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، الجزائر، دار البصائر، ٢٠٠٩.

وقد عرفت أوروبا بصفة خاصة ومنذ القرن الثالث عشر تحولا في الاهتمام بالعربية خاصة بعد مؤتمر فيينا سنة ١٣١٢م، بعد اقتناع الأوروبيين أن الطريق الأمثل للتعامل مع المسلمين هو التعرف على أفكارهم ولغاتهم أكثر، بعد القضاء عليهم عسكريا.

وبعد هذا المؤتمر وبتأكيد واقتراح من روجر بيكون Roger BACON (١٢٢٠-١٢٩٢م) الذي أوصى بضرورة الاتصال ثقافيا بالحضارة الإسلامية وتعلم اللغة العربية، تمت التوصية بتدريس العربية في كبرى المراكز العلمية الأوروبية؛ باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينيون وسلامنكا.[١]

وأصبح تعلم العربية مطلب ومبتغى المستشرقين منذ ذلك الحين، فأقبل المستشرقون عليها إقبالا كبيرا؛ وفتحوا مراكز ومعاهد خاصة باللغات الشرقية، وإنشاء كراسي للعربية فيها، يقوم على تعليمها كبار المستشرقين، ومن ذلك "معهد اللغات الشرقية (١٨٨٧م) الذي أسّسه "زاخاو" في برلين، وأصدر سلسلة من الكتب المدرسية التي أرست القواعد الأساسية لتعليم اللغة العربية"[٢]

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل نجد عددا كبيرا من المستشرقين بحكم إتقانهم للغة العربية، استطاعوا أن يتقلدوا مناصب في المعاهد والجامعات كأساتذة لتدريس اللغة العربية لطلبتهم ومن أمثلتهم:

المستشرق وايت جوزيف WHITE.J(١٧٤٦-١٨١٤) الذي عُيِّن أستاذا للعربية في جامعة أكسفورد[٣]، والمستشرق البريطاني آرثر آربري A.Arberry (١٩٠٥-١٩٦٩) الذي أتقن اللغة

(١) - اسماعيل عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة،(عمان: دار البشير، ط١، ١٩٩٦م)، ص٣٧٧-٣٧٨

(٢) - نجيب العقيقي، المستشرقون، (القاهرة: دار المعارف، ط٥، ٢٠٠٦)، ص٣٤٢/ ٢

(٣) - يُنظر: المرجع نفسه، ص ٤٨/ ٢.

العربية بعد أن دَرسَها على يد المستشرق الكبير رينولد ألن نيكلسون في ١٩٢٧م، وعُيّن أستاذا للعربية في جامعة لندن (١٩٤٢-١٩٤٦)[١]، وغيرهم كثيرون.

ويجدر بنا التذكير هنا إلى أهمية التعرُّف على لغات الآخرين وإتقانها، خاصة بالنسبة لرجال الدعوة، فمعرفة لغة المخاطَب والمدعو، أمر حتمي وضروري لمعرفة واقعه وظروف بيئته، وطريقة تفكيره لأجل نجاح العملية الدعوية وتحقيق الأهداف المرجوة منها، وهذه مزية تُحسب لصالح المستشرقين الذين اجتهدوا وجاهدوا في تعلم العربية بصرف النظر عن الغاية والهدف من ذلك، فحري بنا أن نحذوا حذوهم.

إنّ الاهتمام البالغ باللغة الأم وبالأدب العربي عموما من طرف الاستشراق والمستشرقين لا يُؤخذ كله في جانبه الإيجابي ولا كله في جانبه السلبي، وحتى نتصف بالموضوعية ونكون أكثر إنصافا، فهناك من المستشرقين من كانت نواياهم طيبة ويهدفون إلى غايات علمية بحتة، فكان لهم إسهام في نشر اللغة العربية وتداولها واستعمالها، ومنهم من كان اهتمامه لأجل الهدم والتقليل من شأنها وإضعاف دورها.

وفي هذا السياق نجد المفكر مالك بن نبي(١٩٠٥-١٩٧٣) يصنَّف المستشرقين انطلاقا من تعريفه للاستشراق إلى صنفين: صنف من ناحية الزمن، وصنف من ناحية الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين إلى: "طبقة المادحين للحضارة الإسلامية، وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها"[٢]، وبالتالي فإنّ المهتمين باللغة الأم من المستشرقين على صنفين؛ الاتجاه المنصف للغة الأم، والاتجاه الحاقد عليها، وهناك اتجاه متوازن في كتاباته وحكمه حول الأدب العربي

(١) - يُنظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٩٣م)، ص ص ٨،٥.

(٢) - مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث،(دار الإرشاد، ط١، ١٩٦٩م)، ص ٥.

عموما واللغة العربية بخاصة.

أ/ المستشرقون المنصفون للغة العربية

أجمع الباحثون والمفكرون من أصحاب التخصص أنّ الاستشراق ليس شرٌّ كله، فقد نجد بين هؤلاء المستشرقين من يتصف بالإنصاف والإتزان في آرائه ومواقفه تجاه الإسلام والتراث العربي الإسلامي، ومن ذلك إنصافه لقيمة اللغة العربية وفضلها وأهميتها، وقد لقيت إعجابا واستهوت عددا من المستشرقين، فاعتنى جانب من أصحاب الدوافع العلمية بدراسة اللغة العربية بكل أقسامها وعلومها ومن ذلك قيامهم بجهد يُحسب لهم وهو تحقيق التراث الأدبي وتصنيفه وإعادة بعض المعاجم، "ودراسة اللغة العربية والوقوف على مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية"[(١)]، ومن أمثلة المستشرقين الذين أنصفوا اللغة العربية وكتبوا فيها وأسهموا بإضافات تُحسب لها هذه النماذج منهم:

١/ **فولف ديتريش فيشر Wolfdietrich FISCHER**(١٩٢٨-٢٠١٣) أحد المستشرقين الألمان البارزين الذي عشق اللغة العربية وبخاصة الخط العربي بكل أشكاله، فكان له دافع لأن يتعلم اللغة العربية وهو ابن الرابعة عشر، وهو أستاذ كرسي اللغات الشرقية ومدير معهد اللغات والحضارات غير الأوروبية، في جامعة إيرلنجن نورنبرغ بألمانيا الغربية، عُرف بدراساته اللغوية، وبتبنيه لفكرة تقسيم العربية تاريخيا إلى مراحل، ألقى محاضرات في تاريخ اللغة العربية وأصولها، كالنحو والمعاجم وفقه اللغة.

توصل **فولف ديتريشي فيشر** بعد تتبعه للمراحل الزمنية للغة العربية إلى أن سر تميزها يكمن في النحو، وأنَّ المدارس النحوية التي تشكَّلت عبر الزمن كان لها دور في الارتقاء باللغة العربية، التي

(١) – سعدون الساموك، الاستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، (عمان: دار المناهج، ط١، ٢٠١٠، ص٣٢.

أرسى قواعدها النحاة العرب[١].

٢/ المستشرق **عبد الكريم جرمانوس**(١٨٨٥-١٩٧٩)، المسمى **جيولا جرمانوس Germanus GYULA**، وهو عالم مجري اعتنق الإسلام في الهند، أحب الإسلام وأُعجب باللغة العربية وأجادها قراءة وكتابة، وكان يتمنى أن يطول عمره لأن اللغة العربية في رأيه تحتاج إلى مائة سنة لفهمها، وكان هذا المستشرق عضوا في المجمع اللغوي في القاهرة، من أهم مؤلفاته في مجال اللغة، "شوامخ الأدب العربي" و"دراسات في التركيبات اللغوية العربية"[٢]. وكان من أهم المدافعين على الحفاظ على الفصحى وهجر استعمال العامية والكتابة بها، معتبرا العامية لغة حديث، لا تتسع إلى تصوير الخلجات العميقة وكشف السرائر الغائرة في الأعماق كما تتسع الفصحى لرسم أدق النوازع في إبداع.

٣/ **المستشرق الانجليزي هاميلتون جب HAMILTON A.R Jibb** (١٨٩٥-١٩٧١)، على الرغم من بعض المؤاخذات على بعض آرائه، إلا أنّه تم ترتيبه ضمن هذا الصنف المنصف، لأنّه اهتم بالأدب واللغة العربية وساهم بشكل كبير في خدمة اللغة العربية، ولم يخص الأدب العربي بشعب معين بل اعتبره أدب حضارة [٣]، إضافة إلى أنّه كتب في مجموعة "تراث الإسلام" فصلا بيّن فيه أثر العرب في الآداب الأوروبية، وخاصة في شِعرهم ونثرهم منذ القرن الثالث عشر حتى القرون الحديثة، فيقول:"..إنّ الباحثين الذين يدرسون تاريخ الأدب الأوروبي يعرفون كم من

(١) - إسماعيل عمايرة، المرجع السابق، ص٤٣٣.

(٢) - حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص ١٣٤.

(٣) - نقلا عن: إبراهيم، مدخل إلى الأدب العربي لهاملتون جيب، قراءة نقدية مع النص الإنجليزي،(القاهرة: دار المنار للطباعة والنشر، ٢٠٠٨)، ص١٥.

عناصر هذا الأدب نُسب حينا بعد حين إلى أصل شرقي.."[١] فهو يؤكد على أصالة الأدب العربي الذي زعم بعض المستشرقين على نسبته إلى أصول أجنبية.

٤/ **المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير**1900-1973) **Reger BLACHER**) يُعد هو الآخر من عشاق العربية ومن أكبر مترجمي النص العربي، نظرا لمدى إتقانه ومعرفته باللغة الأم، فإلى جانب اهتمامه بالقرآن الكريم وترجمته إلى الفرنسية، قام بتأليف تاريخ الأدب العربي، ونحو العربية الفصحى، وتناول الشعر العربي وبعض قضاياه، وركز على "المتنبي" كثيرا، مبديا إعجابه مبيّنا في كتاب خصّه به على مكانته وموضوعات شعره وأوزانه وقوافيه، ودرس الكتابة العروضية في الشعر العربي، فقد أسدى بلاشير -بهذه الكتابات- خدمة جليلة للمكتبة العربية- معرفا بذلك بمكانة اللغة العربية[٢]، واهتم ريجيس بلاشير بالصرف فوضع جداول للأفعال، وبالنحو والضمائر[٣].

٥/ **أندريه ميكيل Miquel André** (١٩٢٩-٢٠٢٢م)، أحب اللغة والثقافة العربية، ولشغفه الكبير بها أقام ميكيل في سوريا كمبعوث للمعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، كما سافر إلى بيروت التي درس بها العربية لمدة عام، وبعدها إلى مصر سنة ١٩٦١، واعتقل بسبب تهمة التجسس وبقي في السجن ورغم ذلك بقي متعلقا ومولوعا بالعربية، فكتب وهو في السجن" **يوميات دبلوماسي في سجن مصري**"، وبعد استكماله لكل مراحل تعلم اللغة العربية والتعمق فيها،

---

(١) - هملتون جب، الأدب، ترجمة، عبد اللطيف محمود حمزة، (من مجموعة تراث الإسلام، ج١، ترجمة حسين مؤنس وآخرون)، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠١٥، ص ص١٤٩-٢٢١.

(٢) - يُنظر: حورية الخمليشي، ترجمة النص العربي القديم وتأويله عند ريجيس بلاشير،(الرباط: دار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٠م)، ص ص ٣٠-

(3) -Regis Blachcre et M. Gaudefroy- Demombynes، Grammaire de I' Arabe classique. P41. **)**

أصبح ميكيل أستاذا مختصا في الحضارة العربية بالجامعات الفرنسية منذ سنة ١٩٦٨م، ثم درّس اللغة والأدب العربي في كولاج دو فرانس collège de France، الذي تدرس فيه النخبة الفرنسية والعالمية، فقد كان لهذا المستعرب إضافات كبيرة للثقافة العربية، وكان سفيرا حقيقيا للحضارة العربية في الغرب(١).

ب/ المستشرقون الطاعنون في اللغة العربية.

أدرك أعداء الإسلام أنّ الشعوب الإسلامية مادامت على صلة وثيقة باللغة العربية، فإنّها ستظل مرتبطة بالإسلام وبالقرآن، وستظل متمسكة بفكرة الوحدة الإسلامية الكبرى.

ومن أجل ذلك عمد أغلب المستشرقين من مختلف المدارس والجنسيات، بمحاولة تشويه سمعة هذه اللغة الأم، وصرف العرب والمسلمين عنها وتقليص ظلها عنهم، بالبديل المتمثل في اللهجات المحلية، والعمل على نشرها والعمل بها، فاهتم عدد منهم بمسألة اللهجات في البلدان العربية وألفوا كتبا عن اللهجات العربية، ومثال ذلك: المستشرق كوسان دي برسفال Caussin De PERCEVAL الفرنسي(١٧٩٥-١٨٧١م)، الذي ترجم قواعد اللغة العربية واللهجات الشرقية والبربرية (١٨٨٣م)، و أوغست موليراس Auguste MOULIERAS (ت١٩٣١م)، اهتم باللغة العربية وقواعدها، وكتب عن "بني يزغن ولهجاتهم (١٨٩٥م). وكذلك المستشرقة جرمن تيليون Germaine TILLION (١٩٠٧-٢٠٠٨م)، التي أُرسلت لدراسة المجتمع الأوراسي فتعلمت اللهجة من مختص في فرنسا واختارت أفقر قرية في الأوراس لتقوم بدراستها بعد معرفتها باللهجة التي يتكلم بها سكان القرية.

بلغت اللغة الأم عند المسلمين سواء الناطقين بها أو غير الناطقين بها، درجة رفيعة من البيان

(١) – عبد المجيد دقنيش، المستعرب والأكاديمي الفرنسي الراحل أندريه ميكيل، (مقال من موقع الجزيرة نت، https//:aljazeera.net-culturev

والفصاحة سواء في النثر أو الشعر، وزادت مكانتها عندما اجتباها رب العالمين أن تكون لغة القرآن الذي نزل على خير الخلق أجمعين ﷺ مصداقا لقوله تعالى: {وإنّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمين* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرين* بِلِسانٍ عَرَبِيّ مُبين} (الشعراء/ ١٩٢/ ١٩٥)، فتجاوزت بذلك حدود المكان والزمان، وارتبطت بالدين وأصبحت لغة عقيدة وشريعة ولغة الخطاب، فلم تُفرض على الشعوب الإسلامية وإنما انتشرت بانتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وكان لها تأثير على الغربيين بشكل كبير.

يقول العقيقي أنّ الأدب الغربي تأثر بها وبالأدب العربي، واحتل هذا الأخير مكانا مرموقا لدى معظم الأدباء خاصة الإنجليز والفرنسيين(١)، الأمر الذي جعل المستشرقين التابعين للمؤسسات الاستشراقية المنظمة والمعادين للإسلام يدركون سرّ ارتباط اللغة الأم بهذا الدين وأنّها من أقوى أسباب وحدة المسلمين، فأخذوا يحيكون حولها الشبهات والأباطيل بعد أن عجز الاستعمار بسياسته المستبدة على إحلال اللهجات العامية محل الفصحى، ومن أهم هذه الشبهات:

أولا: ادعى بعض المستشرقين أنّ اللغة العربية الفصحى ليست لغة علم وفن؛ لأنها لغة أساطير مرّت عليها حقب الدهر الطويلة وقضى عليها الزمن وجعلها أمثولة للذكريات والأقاصيص الطويلة النادرة.

- يعتبر المستشرق الألماني **"ولهلم سبيتا"** (Wilhelm SPITTA 1818-1883) أول من حث على الكتابة باللهجة العامية في البلاد العربية، عندما كان مديرا لدار الكتب المصرية خلال الثلث

(١) - يُنظر: نجيب العقيقي، المرجع السابق، ص٣٨-٣٩/ ٢.

الأخير من القرن التاسع عشر إبان الاحتلال البريطاني [١].

حاول هذا المستشرق وضع قواعد للعامية المصرية مشيرا إلى أن الفصحى دخيلة وجاءت مع الفتح الإسلامي، وكتابه "قواعد اللغة العربية العامية في مصر" (١٨٨٢)، عبارة عن سموم ذكر فيه نبذة عن فتح العرب لمصر ونشر العربية فيها، والقضاء على القبطية لا لشيء سوى لإثارة النعرة والعنصرية لمصر ضد اللغة العربية، ومحاولا غرس أفكار باطلة حول اتخاذ اللهجة المصرية لغة أدبية، فيرى بأنّ هذه اللغة لا يمكن أن ينمو معها أدب حقيقي ويتطور، واقترح أن تبقى العربية الفصحى لغة الصلاة والطقوس الدينية فقط.

- المستشرق الفرنسي **لويس ماسينيون** Louis MASSIGNON (١٨٨٣-١٩٦٢) رغم تظاهره بالإنصاف للإسلام وللتراث العربي الإسلامي، إلا أنّه أبدى عداء شديدا للغة العربية الفصحى، ومن دعاة إحياء اللهجات المحلية وإحلالها محل الفصحى، فدعا إلى استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني"[٢]، والغريب أنّ لويس ماسينيون من الذين تعلموا العربية الفصحى وكان منتدبا في الجامعة المصرية ليكون أستاذا لتاريخ الفلسفة (١٩١٢-١٩١٣)، وألقى دروسا بالعربية الفصحى، وكان أحد أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة (١٩٣٣).

ثانيا: أطلق بعض المستشرقين شبهة مفادها أنّ اللغة العربية لغة رجعية ولا تواكب التحضر، وأنّها ليست لغة علم وهذا من أجل " أن تظلَّ عالة على مصطلحات الغربيين، وبذلك تشعر هذه الأمة بفضل الغربيين وسلطانهم الأدبي".[٣] وتبريرهم على ذلك أنّها لغة عاجزة عن الوفاء

(١) - حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص٣٥٩.

(٢) - نعمان عبد الرزاق السامرائي، هدم اللغة العربية الفصحى، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الأول، العدد ٤، ربيع الثاني ١٤١٥هـ، تاريخ الاطلاع: ١٢/ ٠٣/ ٢٠٢٣.

(٣) - حبنكة الميداني، المرجع السابق، ص ١٤٠.

بمتطلبات العصر وغير قادرة على مواكبة التقدم التكنولوجي.

ومن هؤلاء المستشرق **وليم ويلكوكس** William WILLCOCKS (١٨٥٢-١٩٣٢)، وكان مهندسا للري في القاهرة، وهو من اقترح وبنى أول سد بأسوان المصرية، ومن الغرابة أنّه كان يتولى تحرير مجلة الأزهر عام ١٨٨٣م[١]، ويرى بأنّ العربية الفصحى تقع عقبة في سبيل تقدم المصريين ودراستها ونوع من السخرية العقلية ومضيعة للوقت، وأنّ موتها محقَّق كما ماتت اللاتينية.. "[٢] هكذا كان موقف المستشرق وليم من اللغة العربية، وداعيا إلى التخلي عنها بحجة عدم صلاحيتها، وأنّها ليست لغة علم وتطور.

ثالثا: التشكيك في أصالة اللغة العربية ومن ذلك في النحو العربي، وبأنّه متأثر بالآداب الأجنبية وأنّ أصوله يونانية، ومنهم المستشرق الفرنسي أرنست رينان Ernest RENAN (١٨٢٣-١٨٩٢)، وزعم بعضٌ من هذا الفريق أنّ مصطلحات الإعراب والصرف والقياس والحركة مصطلحات يونانية، وأنّ تقسيم الكلام عند سيبويه تقسيم يوناني[٣]،، متجاهلين بذلك ارتباط النحو بالقرآن الكريم، غير مطلعين على الخلفية التاريخية والثقافية للنحاة العرب وجهلهم بمصادر النحو عندهم.

وعلى الرغم من كل هذه الشبهات والاتهامات وغيرها التي أطلقها المستشرقون حول اللغة العربية، فهذا لم يمنعهم من كتم إعجابهم بهذه اللغة والتغزل به؛ فقد أظهر عدد منهم هذا

(١) - نعمان عبد الرزاق السامرائي، المرجع السابق.

(٢) - صالح زهر الدين، مخاطر استهداف المستشرقين للغة العربية، مجلة دراسات استشراقية، بغداد، العدد ١٤، السنة الخامسة، ٢٠١٨م.

(٣) - أسامة مهملي، آليات المستشرقين لهدم اللغة العربية الفصحى، مجلة دفتر مخابر الشعرية الجزائرية، العدد الرابع/ مارس ٢٠١٧.

الإعجاب بين ثنايا كتاباتهم وفي سياقات بحوثهم حول الحضارة العربية الإسلامية، والتي أسهمت في تطورها اللغة العربية كوعاء احتوى تراث الأمة وأسلوبا كُتبت بها كل تلك المؤلفات والمخطوطات القديمة التي بذل المستشرقون لأجل جمعها وترجمتها ونشرها النفس والنفيس، وهذا بعض ما قيل عنها:

١/ قالت المستشرقة والكاتبة الألمانية **زيغريد هونكه** Sigrid HUNKE (١٩١٣ - ١٩٩٠):

"كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمالَ هذه اللغة ومنطقَها السليم وسحرَها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة، وقد اندفعوا.... يتكلمونها بشغف"(١).

٢/ قال المستشرق **الفرنسي أرنست رينان** Ernest RENAN، وبنبرة متعالية والمعروف بتعصبه وعنصريته ضد العرب: "من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمّة من الرُحّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها، ولم تُعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة"(٢).

وأما المستشرق الألماني **يوهان فك** Johann FUCK (١٨٩٤ - ١٩٧٤) بشأن مقام اللغة العربية يقول: «لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يُقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائل، فستحتفظ العربية بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية"

(١) - زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، "أثر الحضارة العربية في أوروبة"، ترجمة: فاروق بيضون، كمال دسوقي، (بيروت: دار الجيل، ط٨، ١٩٩٣م).

(2) -Souvenird'enfance et de jeunesse،edited with introduction،IRVIN BABIBIT.1860.

وقال المستشرق **الفرنسي وليم ميرسيه William MARCAIS** (١٨٧٢ - ١٩٥٦):

«العبارة العربية كآلة العود الموسيقية، إذا نقرتَ على أحد أوتارها، رنَّت لديك جميع الأوتار وخفقت، ثم تُحرك اللغة في أعماق النفس، من وراء حدود المعنى المباشر، موكبًا من العواطف والصور"

وإنّ أقوى ما قيل في حق اللغة العربية من طرف هؤلاء القوم، شهادة المستشرق الفرنسي المعاصر **جاك بيرك Jacques BERQUE** (١٩١٩ – ١٩٩٥) الذي قال: " إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في دول المغرب العربي (الجزائر وتونس والمغرب) هي اللغة العربية، بل هي اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات؛ فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا، والكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية، وكانت العامل القوي في بقاء واستمرار الشعوب العربية المُحتلة"، وإن دل هذا على شيء فإنما على مدى مكانة اللغة العربية عند المسلمين، ومدى تمسكهم بها لأنها تشكل أهم مقوم من مقومات وطنيتهم، والتنازل عنها بالنسبة لهم هو بمثابة الانسلاخ من كل المقومات والانتماء الوطني.

الخاتمـــة

في ختام هذه الدراسة المتواضعة، نصل إلى استخلاص بعض النتائج وهي:

- اللغة العربية واحدة من أكثر لغات العالم انتشارا، وهي أحد ركائز الحضارة الإنسانية، فارتبطت بالعلوم والاكتشافات في مجالات عديدة منها: الطب والفلك والرياضيات والفلسفة والتاريخ على مرّ العصور، وقد توصل المستشرقون إلى هذه الحقيقة من خلال استيلائهم على تراث المسلمين، فأدركوا أنّ هذه اللغة تحيا وتموت بفعل أهلها، فكرسوا كل الجهود والوسائل المادية والمعنوية لهدمها بمعية الاستعمار الذي فسح لهم المجال، وحاولوا محاربتها وإضعاف دورها والتقليل من قيمتها، فلم يتم لهم ذلك على الرغم من كل الوسائل والأساليب التي طبقوها لأجل إضعاف دورها وإلغائها.

-الدراسات الاستشراقية التي طعنت في اللغة العربية ماهي إلا دراسات مشوهة ومسمومة، ولا تستند إلى أدلة ومناهج علمية ولا إلى مصادر موثوقة من التراث الأدبي وتاريخه الحقيقي، غرضها تفتيت وحدة المسلمين بالقضاء على لغتهم الأم التي توحدهم.

- اللغة العربية عرفت انتشارا واسعا بسرعة انتشار الإسلام، ورغبة المعتنقين له بمعرفة القرآن واللغة التي نزل بها، فزادت الرغبة لديهم بتعلمها لأجل فهم هذا الدين فهما صحيحا، وهذا ما يشكل خطرا على الغرب، الأمر الذي دفعهم إلى اتخاذ أسلوب البحث كأسلوب حرب جديد لتشويه اللغة وإضعافها.

- مهما حظيت اللغة العربية من اهتمام وإعجاب من قبل المستشرقين، إلا أنّهم لم يصلوا إلى إتقانها إتقانا يجعلهم يفهمون كل معانيها وأسرارها وسر إعجاز القرآن الذي نزل بها، الأمر الذي جعل كتاباتهم ودراساتهم عن اللغة العربية يعتريه بعض القصور والأخطاء الغير مقصودة عند بعضهم، مع وجوب الاعتراف بقيمة الجهود التي بُذلت من قبل فئة من المستشرقين ودورهم في

إحياء التراث الأدبي الذي كان مطمورا لقرون.

التوصيات:

على جيل الشباب المسلم أن يستوعب مكانة وأهمية هذه اللغة التي يتكلم بها، ويقرأ بها ويدرسها في كل الأطوار التعليمية، ويكتب بها، وأن يعي ما تشكله من خطورة على الآخر الذي يبذل النفس والنفيس من أجل محاربتها وإبعاده عنها من خلال ما يحاك له من طرف التيارات التغريبية وما ينتج عن العولمة من أساليب تحريف النشء المسلم عن مساره وإبعاده عن مقوماته وجعله يتنصل من أقوى مقوم لهويته لينهزم أمام اللغات الأجنبية الأخرى.

يجب أن يدرك جيل الشباب المسلم أنّ اللغة الأم كانت في الماضي هي السائدة في العصور الذهبية، وعليه أن يعيد لها ذلك المجد، بأن يفرض وبقوة حضورها بالعمل على نشر المعرفة بلغته الأم وتمرير كل الابتكارات التي يتوصل إليها مستغلا بذلك عالم التطبيقات المختلفة والذكاء الصناعي والتكنولوجي، ولا يتأتى هذا الأمر ولن يتحقق إلا بقيام أهل العلم والأدب والتخصص بما يجب القيام به من تخطيط وتسطير برامج واستراتيجيات ناجعة لإنجاح هذا الأمر..

والحمد لله رب العالمين والصلاة على الرسول الكريم، والله من وراء القصد